

## رمزية رثاء المكان عند شعراء الأندلس : دراسة تحليلية

د : فاطمة صالح على سعيد

ليبيا - جامعة غريان - كلية الآداب والعلوم - الشقيقة - لغة عربية

أم كلثوم عبد الجليل بشير

ليبيا - جامعة غريان - كلية التربية - مزدة - لغة عربية

0930067057

Farmtabwlqasm355@gmail.com

### ملخص

خلصت الدراسة الى أن المكان عنصرا أساسيا في الشعر الأندلسي ، حيث يرمز الى الحنين والشوق الى الوطن ، ويعتبر رمزا للذاكرة والتاريخ ، الرموز المكانية في الشعر الأندلسي ، تعبر عن المشاعر والأفكار وتضيف بعدا جديدا الى فهم الشعر الأندلسي ، والأماكن هي الرموز الحقيقية التي يستطيع الشعراء إعطائها طابعا حسيا وفضاء معبرا عن ما حدث في الأندلس ، ونجد في رؤى وأفكار وتوجهات الشعراء والكتاب ، لحظات الفقد والشوق الى الوطن المفقود ، وتصوره بسلسلة من الأحداث تحمل في طياتها وجع وألم وأسى ، لفقدانه والحنين اليه ، كما أن الترابط بين البنية السياسية والدينية ، يظهر جلبا في كثير من الاعمال الشعرية ، ومن ثم توظيف الشعر للدين والحديث الشريف ، في رثاء المدن الأندلسية عند سقوطها في أيدي الصليبيين ويردون ذلك الى الذنوب والإنشغال في الدنيا عن الدين

### Abstract

The Study concluded that place is a dundamental element in Andalusian poetry,Where it symbolizes longing and yearning dor the homeland ,and is considered a symbol od memory and history,the spatial symbols in Andalusian poetry express emotions and ideas and add a newdimension to understanding Andalusian poetry,and places are the real symbols that poets can give a sensory character and aspace that expresses what happened in Andalusia,wedind in the visions,ideas,and orientations of poets and writers moments of loss longing for the host homeland,and depict it with a series of events that carry within them the pain and sorrow of losing it and the longing for it,the interconnection between the political and religious structure is evident in many poetic works hence ,poets employed religion in lamenting the Andalusian cities when they faii to the Crusaders,attributing it to sins and being preoccupied with worldly life instead of religion .

استلام الورقة: 2025-08-20 - قبول الورقة: 2025-08-27 - نشر الورقة: 2025-09-02

كلمات مفتاحية:

تجئ الأمكنة مرات عديدة مفاتيح لمظهر سردي وانتقالات فعلية للشخصية الرئيسية (السارد) وتبرز في المكان حركة لتصوره ; كما انه مكان نفسي يتبادل التأثير مع المكان الحقيقي ويقوي آثاره في منحى درامي وجريان ذهني ، فالبعد الشعري الذي يمتلكه المكان قديم قدم الشعر نفسه ويبدو تأثيره في النص الشعري ; بمدى قدرته على التوظيف الجمالي الذي يقترن ببنية المكان ، كما إن تصويره يرتبط أحيانا بسبب يتعلق بالسرد وتعاقب أحداثه ; ليخلق تأثيرا أو يكتسب معنى يصل إلى جوهر النص ويوصف المكان كاديكور مألوف في العنصر الإنساني ، فالمكان يعطي النص قيمته الحية التي قد تصل إلى أقصى درجات الانفعال ; فتستفز الحواس ويثيرها بما تفصح عن دلالات وقيم تختلف من حيث الإتساع والإنتفاع أو الضيق والإنغلاق وتقريب علاقات الشخصوس ; أو تباعدهم .ومن خلال ما تقدم جاءت هذه الدراسة السردية للمكان في موقع جغرافي يمثل تصوير أحداث حقيقية صادرة من عمق الرثاء للمدن والاماكن الأندلسية ، وهو ما يستند اليه البحث في مقاربتة لشعرية المدينة ، يعد سقوط المدن في الأندلس في القرن الخامس الهجري من أهم الظواهر التي وقف عندها الشعر الأندلسي مسجلا هذا الحدث التاريخي المهم ولكثرة مانظم شعراء الأندلس في رثاء مدنهم ودولتهم ، والوقوف عند غدر الأيام بها وبهم ، صار ذلك فنا شعريا قائما بذاته في أدبهم .

### الدراسات السابقة

- تنوعت الدراسات والكتب حول الأندلس ومنها
- دراسة بعنوان أجمل شعراء الأندلس في رثاء المدن ، للكاتب أحمد الحمصي ، 2024م
- دراسة حول سقوط المدينة في الشعر الأندلسي ، في القرن الخامس عشر للكاتب بشير أعبيد ، 2013 م .
- شرح ديوان الشاعر أبو البقاء الرندي " لكل شئاذغماثم نقصان "
- كتاب نفاضة الجراب في علالة الإغتراب ، لسان الدين الخطيب ، 713- 776 هجري

### 1 - المبحث الاول : منهجية البحث

#### 1 1 مشكلة الدراسة

- 1 - دراسة كيفية استخدام شعراء الأندلس للرموز المكانية في رثاء مدنهم وبلادهم ، مثل إستخدامهم لمدينة الأندلس كرمز للحضارة والثقافة الإسلامية .
- 2 - بحث كيفية توظيف الشعراء للدين في رثاء المدن الأندلسية ، وكيف أستخدموا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في تعزيز مضامينهم
- 3 - دراسة تأثير الحضارة الإسلامية في الأندلس على شعر الرثاء ، وكيف عبر الشعراء عن مشاعر الفقد والحزن لضياح المدن الأندلسية . مثل الطباق والجناس والاستعارة
- 4 - دراسة كيفية تأثير الأحداث التاريخية ، مثل سقوط الأندلس ، على شعر الرثاء ، وكيف عبر الشعراء عن مشاعرهم تجاه هذه الأحداث .

#### 1 - 2 - أهداف الدراسة :

1. الوقوف على الأسس الجميلة للسرد في دراسة المكان .
- 2 اضهار الدلالات النظرية للسرد في دراسة عنصر قديم بنظريات تحليلية حديثة ، كما سنرى من خلال اعادة قراءة رثاء الأماكن في العصر الأندلسي .

#### 1 - 3 - أهمية الدراسة

- تساعد الدراسة في فهم كيفية استخدام الشعراء للأماكن كرموز في رثاءهم ، وما الدلالات الثقافية والاجتماعية لهذه الرموز .
- تقدم الدراسة تحليلا عميقا للغة الشعراء الأندلسيين في الرثاء ، وتكشف عن تقنياتهم الأدبية والبلاغية
- تسلط الدراسة الضوء على السياق التاريخي والثقافي الذي كتب فيه الشعراء الأندلسيون ، وتوضح تأثير هذا السياق على اعمالهم .
- تساهم الدراسة في إثراء الدراسات الأدبية العربية ، خاصة في مجال الشعر الأندلسي .

#### 1 - 4 - منهجية الدراسة

- بالمنهج التحليلي الأدبي بواسطة تحليل النصوص الشعرية بحيث تم دراسة قصائد الرثاء للأندلسيين ، وتحليل رمزية المكان فيها . تحليل المضمون العاطفي والفكري للنصوص ، وعلاقة المكان بالحزن والفقد . دراسة تأثيرات الثقافة الأندلسية على الشعر والشعراء في تلك الفترة .

## 2- المبحث الثاني – الأطار النظري

### 1.2- مفهوم الرموز المكانية في الأدب الأندلسي :

" إن مجموع الأمكنة يمكن أن يطلق عليها فضاء ، لأنها أشمل معنى للمكان الذي يضمه القضاء وهو يلف الأمكنة التي تجري فيها الاحداث ويتحرك فيها الحوار والثناء ؛ كما أن للمكان ارتباطا مع خيط السرد " 1 فالمشاهدة الجزئية منه تستوقف انتباه النص خلال رؤية شخصية ذاتية ترتبط بالطفولة مثلا أو مرابع الهوى واللعب وشريط الذكريات بين الماضي والواقع والحاضر ؛ الذي يجسد المشاهد التي تضيء على النص تدخلا بين عنصرى الزمان والمكان وبين عنصرى الوصف والسرد اذ إن الوصف ساكن لا يتحرك والسرد يدخل فيه الحركة ، وبذلك يكون المكان ليس إشارات عابرة إلى موقع جغرافي بل هو سيرورة غنية الدلالات في استنطاق المكان وما يتبعه من عوامل التداعي ؛ مما يحرك قريحة الشاعر في الرثاء ورسم لوحة حزينة عما كان في هذا المكان ، كما في قول الشاعر الأندلسي ابن حزم وهو يرثي قرطبة :

بك على قرطبة الزين فقد دهتها نظرة العين  
أنظرها الدهر بإسلافه ثم تقاضى جملة الدين  
كانت على الغاية من حسنها وعيشها المستعذب اللين  
فانعكس الأمر فما إن ترى بها سرورا بين أثنين  
فاغد وودعها وسر سالما إن كنت أزمعت على البين 2

من خلال الأبيات السابقة يقف الشاعر وقفة حزينة في طول أحبته التي أصبحت خاوية لا يجد فيها من يسأله عما حل بها وبأهلها ؛ وعلى الرغم من علمه بما حل بها ، لكنه قصد من وراء ذلك إظهار الذهول الذي أصابه عند مشاهدته لمدينته المدمره ، فجاء شعره في صورة سردية مؤثرة تظهر فعل الزمان الذي طرقت خطوبه المدينة فتغيرت أحوالها من الإزدهار إلى الإنبهار ، كما اظهر الشاعر في سرده للأحداث وجع الفراق بين أهل قرطبة ليرسم إطارا سرديا حزينا من خلال الأكتار من البكاء والألم .

1 - جمالبات المكان . عثمان ، 1980 ، ص15

2 - في الأدب الأندلسي ، الدابة ، 2000 ، ص158

### 2.2- أهمية المكان في الشعر الأندلسي

وقد كانت بعض الامكنة في نصوص الشعر الجاهلي مادة أساسية ومنها الاطلال وما تثيره من ذكريات التي تتحول إلى مسرح متنقل يصنع عالمه الخاص؛ومثابات لقاءات الاحبة وغالبا ما ترد في لوحات جزئية ،ضمن المقدمات الطلالية التي يكون فيها المكان عنصرا ملهما متكيفا مع السرد " ويعين على أداء المعنى وهو يستل من ذاكرة يوقضها النص بقدرته على نحو عضوي تتابع فيه الانعكاسات والاستنطاق في ثنائية القرب والبعد وغالبا ما يلتحم الراوي والصورة السردية التي يمنحها المكان بين الحركة ويوحى بذكريات ؛ وأسرار لها فاعليتها في التشكيل الشعري لحركة السرد والتأملات الذهنية التي يحسها المتلقي بهواجس عميقة إزاء المكان، حسب ما يملك النص من مهارات تصويرية تمنح المشاهد الشعري غني وحالات وجدانية تختزن مؤثراتها الشديدة الايجاز بالأحداث التي يوقظها النص وبأستساع المخزون الدلالي للمكان في النص، كما إن فعل التأثير الذي يعكسه المكان ينتظم في صورة ذهنية تركز أنتباهنا إلى مرئيات تحصل بعناصر موحية ؛وتحقق ارتباط بالمكان بفعل التعايش الذي يبلور قيمة فنية في النص وبخاصيات سيمائية تكشف عن بعد ذاتي شأنه إن يظهر مهيمنة مكانية مرتبطة بعلاقات زمنية ؛ والمخيلة الشعرية تعمل غالبا في تشكيل الانساق المكانية كمعدلات موضوعية لحركة الخيال الشعري ، والبنية للمكان والبؤرة الاستقطابية التي يدور حولها السرد ليتلاحق ويتمحور حوله " 1 ويدل ذلك على أن الاماكن تتفتح على النص السردى وينفج عليها بما يحمل من رموز يحتمى بها وبما يصوغ أستنطاقها داخل النص الشعري الذي يتفاعل وملامح المكان ؛ وإيحاءته وإنما يثري شعريته النص التشكيلي المكاني معتمد الخيوط السردية التي ترمزله بفاعلية تسيطر على اهتمام النص بشكل واضح . ونلتمس ذلك في قول الشاعر أبخفاجه ، الذي يقول:

عائت بساحتك العدى يادار ومحا محاسنك البلى والنار  
فأدا تردد في جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار  
أرض تقادفت الخطوب بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدار  
كتبت يدا الحدثنان في عرصاتها لأنت أنت ولا الديار ديار 2

أستطاع ابن خفاجة من خلال هذه الأبيات استنتاج النص ، حيث اعطى لمعاني الكلمات طابع حسي ، فهي تمحو المحاسن بالنار والبلى ، وبدل أن تلد الجمال كان نتيجة المخاض خراب ، في شكل دمار ارتسم على عرصات القصور وهي منحنية في خشوع وسكون ؛ حتى أنها لا تكاد تعرف . فلا أنت أنت ولا الديار ديار . وهو يقف مفجوع حزين بساحة مدينته التي ذهبت محاسنها

1 - جماليات المكان ، عثمان ، 1980 ، ص1

2 - ديوان أبن خفاجة ، ث ، الطباع ، ص121

" كما يشكل الفضاء (المكان) مكوناً من مكونات البنية السردية لميحظ بالاهتمام والدراسة كحافظيت بقية مكونات البنية ، وقد يبدو من باب المفارقة الحديث عن فضاء في الأدب، إذ يبدو أن العمل الأدبي يتحقق زمنياً في المقام الأول، ذلك أن عملية القراءة التي يتحقق بواسطتها الوجود الفعلي للنص المكتوب ، إن ماتتكون من مجموعة لحظات تتوالى في ديمومتنا لذلك يلزم القارئ أن يكون قادر على تصور وجود فضاء نصي مغاير للفضاء المرجعي في معناه الضيق ؛ الذي يبدو فيه الأثر الأدبي مقتصر على استنساخها ولولها ، بيد أن استعمال الفضاء يتعدى مجرد الإشارة إلى مكان من الأمكنة، إن الفضاء يخلق نظاماً داخل النص مهما ؛ بدا في الغالب انعكاساً صادقاً لخارج النص الذي يدعى تصويره، بمعنى أن دراسة الفضاء ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالآثار التشخيصية" 1

"وفي النص يغدو الفضاء بمعناه الأدبي ، هو المجلس هو المكان الذي تتم فيه العملية السردية، ومن المعروف أن أحاديث المجالس أدخلت في نوع أدبي أطلق عليه أدب المجالس ؛ فالمجالس تختلف في نوعيتها، إذ هناك مجالس للعامّة وأخرى للخاصة، ومجالس تصنّف بحسب غاياتها، فمنها مجالس تختص بالجد، وأخرى تختص بالهزل، ومجالس يختلط فيها الجد بالهزل، ولكل ملامحه الخاصة التي تميزه . فالمجلس بما يستوعب من يتكلم بكفاءة كلامية، ويستمعين بذو قدرة على التمييز بين أصناف الكلام، فالمجلس محفّز أساسي لطبع الكلام العربي بسماته الخاصة والتميز، ومنها المجالس الليلية التي يجتمع فيها، السمار للإستماع لأخبار والحكايات كألف ليلة وليلة " 2

"وربما كان المجلس هنا فضاء أشبه بوعاء مغلق يحد من حركة الشخصيات إلا أن هذا الفضاء ينهض بوظيفة رمزية ، بوصفه إطاراً مكانياً . يحتوي العملية السردية في صورتها الأولى، أي الصورة الشفاهية التي تتألف من الراوي وحكايته والمتلقي، والذي تحول بعد التدوين إلى فضاء تتشكل فيهم محاكاة أو تمثيل لكل من الراوي وحكايته والمتلقي الضمني، " 1

كما تتبدى رمزيته في كونه مجلس الوزير أو أحد ملوك المغرب أو الأندلس ، أي مجلس السلطة التي تفرض على روادها إيقاعها الخاص، ومراعاة مقتضى الحال، إذ لكل مقام مقال، كما أكد النقاد العرب ، وما يتطلبه الموقف في المجلس من تخصيص لطبيعة القول بما يناسب المتلقين.

" وربما تخرج فكرة الأماكن من كونها تعبيراً عن حدث حقيقي تاريخي إلى كونها مكوناً أساسياً في لعبة تخيلية بارعة ؛ يمزج فيها بين المجلس و الحدث بعيد عن الرثاء أحيانا ، ويركب النص من هذين المكونين، بوصفهما إطاراً مكانياً وزمانياً متخيل لما ينتجه السرد، يضم الأحداث والشخصيات المختلفة "

1- الفضاء الروائي ، جينيت . 2002 ص20

2-الكلام والخبر ، يقطين ، 1997 ، ص 214

ونجد ذلك بوضوح عند الشاعر لسان الدين الخطيب الأندلسي فهو يضع إشارات قليلة عند دخوله مكاناً ما أو وصفه له ؛ منها ما كان في الأندلس بلده الأول ومنها ما كان في المغرب ، إذ تقتضي البداية في أية حكاية تحديد المكان والزمان حيث يجري الحدث .

وقد استعمل لسان الدين بن الخطيب المنهج الوصفي للأماكن الجغرافية التي زارها ، وجعل هذا الوصف مدخلا لكتابه التاريخ ، حيث كان لسان الدين بن الخطيب كثير التنقل والترحال في مدن الأندلس والمغرب ووصف جبل ( هنتاته ) وصفا دقيقا ؛ والمكان الذي توفي فيه السلطان الشهيد أبو الحسن المريني بعد أن ثار عليه ابنه أبو عنان فارس وقال : "في يوم الاثنين المتصل بيوم القدوم توجهنا إلى الجبل في كنف أصحابه تحت إغراء بره وفي مركب قره عينه ، فخرجنا نستقبل بين يديه السهل ونساير الجهة ، ونشاهد الآثار ونتخطى المعاهد ، ونستنشق النسيم العليل القريب العهد بمادة الثلج وعنصر البرد ، ولما بلغنا درج الجبل ، وانحنينا طريقه من السفح وهي تركب ضفة الوادي الملتف بعادي شجرة الحور والطرفاء وشجرة الخلاف والدردار وامعنا وكابدنا عننا في اقتحام الوادي ذي الجريه الكثيرة الصبب ، المسوقة المد العظيمة التيار المجهولة المخاض وتفتح منه أزرق شفافا عن الحصباء كثيرة الجلباب ، املس الصفاح ، لداع البرد ، عبرناه نحو من ثلاثين مرة في أماكن يتخللها الدوح ويعظم الربيع وتخضر الحرباء وتسموا جانبها الجبال الشم والشعبات التي نزل بها العصم ..... " 1

ووصف مدينة (اغمات) وصفا جغرافيا دقيقا ويتكلم عن محاسنها وعن مسجدها ومأذنته المخروطية الشكل وبساتينها وجناتها ; وقال " ثم أتينا مدينة اغمات في بسيط سهل موطأ لا نشر فيه ينال جميعه السقي الرغد وتركبه الخلجان وقد تموج به العشب ..... وهذه المدينة قد اختطت في الفضاء الافيج ، فبلغت الغابة من رحب الساحة وانفساح القورة ، مثلت قصبته منها قبلة ، وسورها محمر التراب ، سجح الجلد مندمل الخندق يخترقها واديان اثنان من ذوب الثلج وسور الجبل ..... ومسجدها عتيق عادي كبير الساحة ، رحيب الكنف متجدد الألقاب ومأذنته لا نظير لها في معمورة الأرض و بأزواها المسجد ، بينه وبين النهر المار بإزائه قبة عظيمة القبو ، فخمة البنية ، ترقص فيها فوارة خرقاء في خصة من الحجر الادكن مشطوفة الباطن رحيبة القطر ; وللسلطان بهذه المدينة دور حافلة تدل على هم ومعالي امم ، واحتفال عوالم درجوا . وأمم قد ركلتها العفا وجذب معاطفها الخراب ، فما شئت من خشب منقوشة وأطم مرقومة وبداخل هذه المدينة بساتين وجنات ..... "1 وقال عن قبر المعتمد بن عباد : " وزرت قبر المعتمد على الله ابي القاسم محمد بن عباد، امير حمص ، " وقرطبة والجزيرة وما الى ذلك الصقع الغربي رحمه الله وهو بالمقبرة القبلية عن يسار الخارج من البلاد قد توفل ، نشزا غير سام والى جانبه قبر الحرة حظينة وسكن نفسه اعتماد اشراكتنا لأسمها في حروف لقبها ، المنسوبة الى رقيق مولاه ..... "1

1- ينظر المجلسيات والمقامات ، ابوذيب ، 1996 ص 212

2 - نفاضة الجراب في علالة الأغرراب ، ابن الخطيب ، ت . 1998 ص 45 ، 46

كما قدم وصفا لمدينة " مكناسة الزيتون" واصفا مدارسها وصحة هوائها وفواكهها وقال " واطلت مدينة مكناسة في مظهر النجد رافلة في حلل الروح مبتسمة في شنب ساقها على اجمل المرأى وقد احكم وضعها الذي اخرج المرعى قيد البصر فنزلنا بيها منزلا لا تستطيع العين ان تخلفه حسنا ووضحا ، من بلد دارت به المجاشر المعلقة والتفت بسوره الزيتين المفيدة ، وراق بخارجه السلطان المستخلص الذي يسمو اليه الطرف ورحب ساحة والتفاف شجرة ونباهة بينه واشراف ربوة المياه العذبة .... وبداخلها ثلاث مدارس لبث العلم ، كلف بها الملوك الجلة الهمم التجديد ، فجاءت فائقة الحسن ما شئت من ابواب نحاسية وبرك فياضة تقذف منها صافي الماء اعناق اسدية ، وفيها خزائن الكتب ، والجرابية الدارة على العلماء والمتعلمين وتفضل هذه المدينة كثيرا من لداتها بصحة الهواء وتبحر اصناف الفواكه... "1

" ان الدلالة التي تمنحها كلمة مكان بوصفها علامة أو إشارة دالة، وتبدو هيئة ناطقة تستثمر في بناء النظام السردى، وتستكمل مكانه، إذ كونت حضوراً واضحاً في ذهن المتلقي، ومركزاً ينطلق منه النسيج السردى. لكن الفضاء الأشمل هو الفضاء الذي تكونه اللغة السردية، إن فضائية اللغة منظوراً إليها داخل نظامها الضمني الذي هو نظام اللسان المتحكم في كل فعل كلامي، ويوجهه تبدو لناجالية في الأعمال الأدبية ، بل ومبرزة في صنع الكتابة ، فالقيمة الدلالية السياقية يفرزها المقام الذي يحيط بالنص من مكان وزمان وشخص، وكيفية عرض الخطا بنوعيه، بما يطلق عليه السمات السياقية التي تحيط بالنص، وتحدد الوظيفة التي يؤديها السياق سواء أكانت تلك التي تتولد من القرائن اللغوية الموجودة في النفس أم التي تتولد من القرائن غير اللغوية التي تحيط بالنص مشكلة ما يسمى "ديناميكية السياق" اللغوي وفوق اللغوي "2 وتحمل لغة النص فضاء يتنامى فيه التخيل، إنها ترسل إشارات الصلات الحميمة، التي بدأت عن تنشأ بين الاماكن و الاحداث وبين لسان الدين بن الخطيب ، وتصور الانسجام الذي أخذ خطأ تدريجياً تنامت فيه تلك الصلات، وجعلته يمتد حتى نفض ابن الخطيب آخر ما في الجراب ، وقد أغنى عقولنا وأمتع قلوبنا بجميل الكلم والتعابير ، المرسومة في قالب أدبيا ضمنه جل الاحداث التي جرت ما بين فترة بقائه في الأندلس إلى ان انتقل إلى ملاذة الاخير بالمغرب جعل الله كل ما خط و ذكر في ميزان حسناته... كما لا يفوتنا الوقوف هنا عند عنصرى الزمان والمكان على حد سوا في عملية إخضاع الشفاهي إلى الكتابي وتحويل الزمن الحكائي إلى زمن سردي ما هو الحقيقي ما هو المتخيل؟ أين تبدأ الحقيقة وأين ينتهي الخيال؟ وانعكس كل ذلك على مجريات الرثاء الخاص بالاماكن والمدن ؟

1- نفاضة الجراب في علالة الأغرراب ، ابن الخطيب ، ت . 1998 ص 45 ، 46

2- الفضاء الروائي ، جينيت ، 2002 ، ص 13

"إن الكلام الذي يخرج عن النسق الفكري الواحد، ويخضع للعفوية بعيداً عن عملية الاختيار والانتقاء والاستبدال والتحويل التي تتضمنها عملية الكتابة، وصولها لحالتها النهائية التي هي عليها الآن، كان نتيجة تحويلات عدة من بناء غير ثابت، يلقي على البديهة إلى نسق مكتوب بعد قراءات واختزال معلومات تحولت إلى رؤية وأسلوب، ثم إلى حكي شفوي احتكم إلى شروط المسامرة والأسئلة والعامل الزمني ثم تحويله إلى كتابة في تلك الصيغة"1

وامتاز لسان الدين في حديثه وتدوينه للأحداث بذاكرة قوية لاتدع شيئاً، ولوبدا تافه أو جزئياً، مادامت له دلالة خاصة ، تسهم في تأسيس الموضوع المعروف، وحافطة قوية زاخرة بالأقوال المنسوبة إلى أصحابها سواء أكانت شعراً أم نثراً، ومتصرفة متصلة بكل ما يخرج عن الحافظة والذاكرة ، ظهرت من خلال التعليقات والأقوال . هذه المصادر الأساسية الثلاثة أبرزت شخصية المثقف في القرن الرابع الهجري، وما يستوعبه

منذ خيرة معرفية تتسع لمختلف المعارف، بينت بوضوح ، لكن الأهم هو توظيف هذه الطاقات في المجلس، فهذا يساعد على تقديم وجهات نظر ثرية ومركزة، وإن بدت جزئية أو ميثوقة في غير موضع، فهي قابلة للقياس، بعيدة عن الاعتباطية، نذكر منها إيراد الأحداث التاريخية التي لها إسقاطاتها المباشرة على الواقع والمساس بقضايا اجتماعية حساسة كحياة الطبقات الاجتماعية وطرق عيشها، أو التبرم السلطوي من اهتمامات الشعب أو نقد بعض الممارسات السلطوية تجاه الطبقة المثقفة ، أو الإلماح إلى مواطن الدهاء السياسي فيحل المشكلات إن الرؤية التي تنطلق من المجلس هي رؤية مرتنة بعدة أسس متنسقة مع طبيعة المكان ورواده، إذ تُؤسس البنية الأخلاقية المعرفية وتعالج قيماً علياً في إطار منظم، ووفق معايير جمالية وأدبية، وتخلق التوازن في إطار شكلي محكم .

1- خطاب الحكاية , جينيت , 2002 . ص 108

### 3-3 توظيف الشعراء للدين والحديث الشريف في رثاء المدن الأندلسية

عندما بدأ سقوط المدن والحصون الأندلسية في يد الصليبيين ، فكانت البداية في مدينة برشتر في شمال الأندلس ، التي دخله الصليبيون عنوة وتعرض أهلها لأهوال الذبح والأسر ، كان حاكم المدينة قد قسمها بين أولاده الخمسة قبل موته ، وبعدها نشبت بينهم الخلافات وأخذ كل منهم يحاول الاستلاء على الآخر ، تابعهم الصليبيون النومانديون وأغتتموا إحدى الفرص للاستلاء على المدينة ، وأستطاعوا دخولها عنوة وإستباحتها وقتل من فيها حتى قدر عدد القتلى والأسرى بين 40 الف و 100 الف ، وقتل من أهلها 600 ذبحا ، وراح الجنود ينهبونها ويحتلون دورها ، عزا ابن العسال مالألم بالمدينة الى ذنوب المسلمين فقال :

لولا ذنوب المسلمين وأنهم ركبوا الكبائر مالهن خفاء

ماكان ينصر للنصارى فارس أبدا عليهم فالذنوب الداء

فشارهم لا يختفون بشرهم وصلاح منتحلي الصلاح رياء 1

وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تحدثت عن سقوط المدن وزوالها حيث يعتبر سقوط المدن نتيجة طبيعية ، للفساد والظلم والكفر ، عندما ينتشر الفساد في المدينة ، فإن الله تعالى يرسل العذاب عليه ، وعندما يظلم الناس بعضهم البعض ، فإن الله تعالى يرسل العذاب عليهم ، وعندما يكفر الناس بربهم يرسل عليهم العذاب وكذلك الابتعاد عن الدين ونتيجة سقوط المدن هو الدمار والموت وفقدان الأمان .

قال تعالى ( وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ) سورة القصص آية 58  
قال تعالى ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا )

سورة الإسراء آية 16

هناك عدة أحاديث من السنة النبوية عن سقوط المدن ومنها :

" إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وإذا أراد الله بقوم خيرا فلا مرد له " صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب سورة الأنعام

- " إذا سمعتم بالمدن قد خربت فاعلموا أن ذلك من عذاب الله " صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب سقوط المدن .

-إن الله تعالى هو الذي يقرر سقوط ودمار المدن ، وإنه لا يمكن لأحد أن يمنع ذلك أن سقوط ودمار المدن هو عذاب الله تعالى ، وأن يكون بسبب ذنوب ومعاصي الناس.

1 - أجمل ما قيل في رثاء الأندلس ، الحمصي ، 2025 ، ص 12

### 3- المبحث الثالث :

1.3- النزعة الإيديولوجية للمكان في شعر أدباء الأندلس

تعرف الأيديولوجية بأنها " جل الأفكار الأحكام والاعتقادات الخاصة بمجتمع ما في لحظة ما في مكان ما " 8 فهي علم الأفكار المرتبط بجماعة أو مجتمع ; في مرحلة زمنية محددة، لذا فهي " 1 رؤية جزئية للعالم، تظهر في سياق ثقافي فكري . " 1 فالعمل الأدبي لا يرتبط بالأيديولوجية عن طريق ما يقوله، بل من خلال ما لا يقوله، وانعكاس كل ذلك في المكان والموقع الذي احتوى هذا النتاج الأدبي فنحن عندما لانشعر بوجود الأيديولوجيا، نبحت عنها من خلال جوانبها ; لصامتة الكامنة التي تنساق في الآثار الأدبية عن طريق مؤلفيها عادةً أو في فجوات النص وأبعاده الغائبة" 3 "وقد يطغى أكثر من موقف أيديولوجي يمثل حالات التنوع الموجودة في مجتمع ما، مما يؤدي إلى تعدد الأصوات، إذ توجد عدة منظورات داخل النص ، وهذا يتيح لنا التبصر بالواقع الاجتماعي الذي انطلق منه النص والمكان الذي حدث فيه "3

لكن الكاتب ينزع أيديولوجياً الفكر المهيمن على خطابه، مهما تعددت التوجهات، وهذه الهيمنة تظهر في " حوار الشخصيات وانحياز مركز النقل الحواري باتجاه هذا النزوع، بل إن الهيمنة الأيديولوجية يمكن أن تتجلى من خلال الأثر الكلي للخطاب، والخطاب الأيديولوجي الكامن في النص يلعب دوراً مهماً ومؤثراً في المتلقي، فهو في حقيقته توجه سياسياً ودينياً وأخلاقياً وأدبي، يتجاوز حد القصد إلى حد الإقناع، لذا فإنها تختلف عن وجهة النظر بأنه اتقدم نفسها بوصفها رؤية بديلة ووحيدة، وخاصة تلك الرؤية الأيديولوجية أحادية الرؤية التي تختصر تعددية الحياة، أي تعددية أصواتها التي تختزل في صوت واحد، هوصوت المؤلف وتوجهه الأيديولوجي المهيمن " <sup>i</sup> ومن خلال الأطلاع على محتويات الأدب الأندلسي نجد أن الأيدلوجية فيه تدور جلفها حول فكرة - لحظات في كنف وطن ثم فقدانه - بصورة تسلسلية تحمل في طياتها وجع والم وأسى كما في قول الشاعر الأندلسي أبوالبقاء الرندي

- 1-بلاغة الخطاب وعلم النص، فضل، 1992، ص 104  
 2-المصدر نفسه ص 103.  
 3- خطاب الحكاية، جينيث، ص 101، 201

لكل شيء إذا ما تم نقصان ..... فلا يغر بطيب العيش إنسان  
 هي الامور اذا شاهدها دول .... من سره زمن سأتته أزمان  
 إلى أن يقول :

وللحوادث سلوان يهونها .... وما لما حل بالاسلام سلوان  
 دهى الجزيرة امر لا عزاء له .... هوى له احد وانهد ثهلان  
 اصابها العين في الاسلام فامتحننت .... حتى خلت منه اقطار وبلدان  
 فاسأل بلنسية ما شأن مرسية .... واين شاطبة ام اين جيان  
 واين قرطبة دار العلوم فكم ..... من عالم قد سما فيها له شان  
 واين حمص وما تحويه من نزه ..... ونهرها العذب فياض وملآن  
 قواعد كن اركان البلاد فما ..... عسى البقاء اذا لم تبق اركان  
 تبكي الحنيفة البيضاء من أسف .... كما بكى لفراق الالف هيمان 1

وقد تكون هناك أيديولوجيا حاكمة ومسيطرة على البنية الثقافية لمجتمع ما، ففي نظرة شاملة لبنية الإبداع العربي وموقعه ضمن الثقافة العربية ; يتبين لنا أن العملية الإبداعية لم تنفصل عن البنية السياسية أو الدينية، فثمة ترابط ملحوظ بين البنيتين، هنا كسلطة ما سواء أكانت سياسية أو مدنية، توجه حركة الإبداع، وتحدد مساره، وتسعى إلى الحفاظ على ثبات مؤسساتها وتنزع نزوعاً شمولياً إلى ترسيخ أيديولوجيتها ورؤيتها للعالم، تعضدها في ذلك سلطة دينية تهيمن على التفكير والنظر والتأويل، وهذا ما يجعل النصوص العربية فيمجمها مشروطة بمستلزمات البنيتين، فنلمح فيها خطاباً، يحرص على التناغم أو الحوار معهما، ويمكن القول "إن الأيديولوجيا تتمفصل داخل النص السردى وفق نمطين مختلفين في الوجود، وكل تمفصل يؤدي إلى تجلٍ خاص، يفرض قواعد بنائه وصيغته وأدواته، فهو إما تجلٍ صريح لأيديولوجية معينة ضمن نسق أخلاقياً وقيمي محدد، عندها يتحول النص السردى المتن القصصي بصفة خاصة إلى ذريعة، لشرح جوهر وأهداف وغايات هذه الأيديولوجية، ويتحول النص إلى إخراج سردى لمقولة أيديولوجية سابقة في الوجود على هذا النص، وإماتحقق لبنية دلالية صغرى، لاتمتلك ظاهرياً على الأقل، أي مضمون أيديولوجي سابق على تحققها في سياق خاص كثنائيات الخي ر /الشر، والحرية/ العبودية، وهو في هذه الحالة لا يبتعد عن الأيديولوجيا، ولا يبتدأ منها، ولكنه يقدمها في ثوبها و ينسج لحظة بناء النص السردى نفسه " <sup>ii</sup>

1 -في الأدب الأندلسي، داية، ص 360

فأحاسيس أبو البقاء الرندي تنبثق عن أيديولوجيا خارج النص، تتمثل في الوعي الفردي السابق على الحكاية وتأثير ذلك الوعي في النص؛ إنها خبرة فردية مرتبطة بالتكوين الثقافي والبيئي في ذلك الوقت، وليست خبرة طارئة، جاءت في لحظة وقوع الحدث، وهذا مادفعنا إلى أن ننظر إلى الأيديولوجيا في النص بوصفها نزعة أومياً مسبقاً كان في حياة الشعراء والكتاب في ذلك الوقت؛ والحدث هو الذي استدعى تلك الأيديولوجية، وما تقوم عليه من أسس، كانت تدخل في ثنايا النص. حيث نجد أن الأيديولوجيا في الأدب الأندلسي، مرتبطة بالتردد الزمني للحدث في ذلك الوقت، الذي يفرض نفسه على مجريات الدراسة، مما يشكل تصورا للقراري يجعله يرسم فترة زمنية سردية ذهنية حول الظروف التي كتبت فيها هذه القصائد التي تحوي على طابع الرثاء. و ينتج عنه افقا مكائيا و زمنيا تمثل كل حلقة من حلقاته حدثا سرديا

صغيراً، يكتسب سمته الخاصة التي تمتاز بطابع الاختيار والانتقاء للموضوعات التي تشكل بنية الحدث، ويمكن أن نعتبر هذا الأخير نظاماً متشعباً من الحوارات التي تمنح الفعل السردي إمكانية البناء والتشكيل اللغوي للأحداث، فيعد أن كانت الأندلس بلاد إسلامية وتحمل طابع إسلامي أصبحت هذه أسماء تختفي تدريجياً مخلفة وراءها صور وعادات لمجتمع له طابع ديناً مغاير تماماً .

#### الخاتمة :

لقد أضاءت هذه الدراسة بعض جوانب التفاعل النصي بين الأدب الأندلسي في جانب رثاء الأماكن وبين الدراسة التحليلية الحديثة في السرد، إذ أظهر التفاعل النصي الذاتي ملامح الخطاب العام عند شعراء الأندلس، ووحدة الفكر والرؤى في كثير من الأحيان، لا سيما في توجههم العام في أغلب مؤلفاتهم، كما أظهر التفاعل النصي الخارجي اختراق التفاعل النصي الداخلي من حيث الحوار التفاعلي بين الأحداث خاصة و الأندلس عامة، نقلاً وتسجيلاً من جهة أو إبداعاً وتحويلاً من جهة أخرى. وما جعل ذلك الأمر يصل إلى هذه الدرجة من الأبداع هو أن فن رثاء الأماكن من الفنون الشعرية الجميلة الذي يجمع ما بين روعة الخيال ، وعمق العاطفة وحرارة المشاعر ممزوجة بجلال الحقيقة وصدق الواقع وكل ذلك يتحول من خلال السرد إلى لوحة فنية شجية تنطبع في نفس القارئ أو السامع. رمزية المكان عند شعراء الأندلس كانت تعكس حبهم الشديد للوطن والطبيعة ، وتعبيراً عن الحنين إلى الأوطان التي فقدوها ، الأندلس كانت رمزا للوطن والملاذ الآمن ، وكانت تمثل الحضارة والثقافة الإسلامية ، قرطبة رمزا للعاصمة الثقافية والسريانية للأندلس وكانت تمثل مركزا للعلم والفنون غرناطة رمزا للملك والسلطة ، حيث كانت تمثل آخر معاقل المسلمين في الأندلس الطبيعة رمزا للجمال والصفاء ، كانت تمثل مصدر للإلهام والشعر ، الرياض رمزا للجنة والسعادة وتمثل مكانا للراحة والإسترخاء

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

#### التوصيات

إجراء دراسات أعمق حول رمزية المكان في الشعر الأندلسي مع التركيز على مختلف الجوانب الثقافية

#### 1- والتاريخية

توسيع نطاق الدراسة ليشمل شعراء آخرين من الأندلس ، ودراسة التطورات التاريخية لرمزية المكان في الشعر

#### 2- الأندلسي

3- تضمين الدراسات الأدبية والنقدية لرمزية المكان في الشعر الأندلسي ، في المناهج الدراسية

تنظيم ندوات ومؤتمرات حول رمزية المكان في الشعر الأندلسي ، لتبادل الأفكار والرؤى بين الباحثين

#### 4- والمهتمين

5- تحليل النصوص الشعرية باستخدام منهجية علمية ، لاستخلاص الدلالات الثقافية والتاريخية لرمزية المكان

6- الاستفادة من الدراسات السابقة حول رمزية المكان في الشعر العربي والشعر الأندلسي في فترات زمنية مختلفة .

- 1 - مقاله حول أجمل مقالة شعراء الأندلس في رثاء مدينة ، تاريخ 2024م وانظر : أحمد الحمصي هو كاتب ومديع تلفزيوني وإذاعي عراقي ، حاصل على ماجستير في اللسانيات ، ومقرئ القراءات العشر . يعمل أيضا مدرب إعلامي ، ومن أبرز أعماله كتاب " غربة الراعي " ، ولد الحمصي في العراق ، ودرس في مدارسها ، ثم أنتقل الى سوريا والكويت للعمل في الإعلام ، وله العديد من المؤلفات في مجال الإعلام واللغة العربية .
- 2 - سقوط المدينة في الشعر الاندلسي ، في القرن الخامس الهجري ، التحول والهزيمة ، 2013م أنظر : بشير أعبيد كاتب ومؤلف عراقي ، له العديد من المؤلفات في القصة القصيرة والنقد الأدبي والكتابة للطفل ، من أبرز أعماله "حياتي في دائرة الضوء " يعتبر بشير اعبيد من مؤسسي الجمعية الوطنية الثقافية "الجاحظية " وعضو في اتحاد الكتاب الجزائريين ، له مساهمات في العديد من الصحف والمجلات ، ولايزال نشطا في المجال الأدبي .
- 3 - ديوان أبوالبقاء الرندي هو مجموعة من القصائد الشعرية التي كتبها الشاعر الأندلسي انظر : صالح بن يزيد بن موسى بنأبي القاسم بن علي بن شريف ، أبوالحسن ، المعروف بأبي الطيب وأبي البقاء الرندي ولد نحو 601 هجري / وتوفي سنة 684 هجري ، ولد في مدينة رندة ، واشتهر بعلمه في الحساب والفرائض ، تنقل في مدن الاندلس ، ومن أشهر كتبه " الوافي في علم القوافي " كتاب نفاضة الجراب في علالة " لإغتراب ،
- 4 - كتاب نفاضة الجراب في علالة " لإغتراب ، انظر : لسان الدين الخطيب هو شاعر وكاتب فقيه وطبيب ، ولد في لوشة عام 731هجري وتوفي في فاس عام 776 ، وقد ترك آثار عديدة في الأدب والتاريخ ، ومن مبرز مؤلفاته الإحاطة في أخبار غرناطة

#### المصادر

- 1 - الرندي ، أبوالبقاء ، (ديوان أبو البقاء الرندي)
- 2 - عثمان ، اعتدال ، جماليات المكان ، 1980 ، دار الشؤون الثقافية بغداد
- 3 - جينيث ، جيرار ، 2002 ، الفضاء الروائي
- 4 - جينيث ، جيرار ، ، خطاب الحكاية
- 5 - يقطين ، سعيد ، الكلام والخير ، 1997 ،
- 6 - عبد السلام ، فاتح ، 1999 . تقنياته وعلاقته السردية ، الطبعة 1 ، بيروت
- 7 - الداية ، 2009 ، في الشعر الاندلسي
- 8 - ديوان ابن خفاجة ، ترجمة عمر فاروق الطباع
- 9 - الخطيب ، لسان الدين ، نفاضة الجراب في علالة الأغرئاب ، 731 = 776 هجري

#### المراجع

- 1 - الحمصي ، أحمد ، 2025 ، اجمل ما قيل في رثاء بلدان الاندلس
- 2 - فضل ، صلاح ، 1998 ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،
- 3 - أبوزيب ، كمال ، ينظر في المجلسيات والمقامات ، 1996 ، مجلة فصول

